﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

حَمدُ الله على تَنزُّهِهِ عن صفاتِ النَّقصِ مُلازمٌ لحمدِه على اتِّصافه بصفاتِ الكمالِ

في مُناسبة هذه الآية لِما قبلها أربعة أوجه:

الأوَّل: اختتمَ البيانُ القرآنيُّ سورةَ الإسراء بالتَّسبيح ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: 108]، وبالأمر بالحمد ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ [الإسراء: 111] وافتتح الكهف بالتَّحميد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ لكون التَّسبيح والتَّحميد قرينان في القرآن والسُّنة وسائر الكلام، وفي الحديث: "سُبحان الله وبحمده"[1].

الثّاني: اختُتمتْ سورةُ الإسراء بالأمرِ بالحمدِ لله الذي لم يتَّخذْ ولدًا ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الإسراء: 111] وافتُتحتْ سورة الكهف بالحمدِ على إنزالِ هذا الكتاب منذِرًا للقائلين بأنّ الله اتّخذ ولدًا، ومبشِّرًا للمؤمنين بالأجر الحسن[2].

الثّالث: ابتُدأتْ السّورةُ الكريمة بالتَّحميدِ بعد أنْ خُتمتْ السّورة السّابقة بالأمر بالتَّكبير، فهو المحمودُ الكبير الذي ليس فوقه أحدٌ ﷻ[3].

الرّابع: لَمّا خُتمتْ سورةُ الإسراء بأمرِ الرَّسول ﷺ بالحمدِ عن التَّنزُّه عن صفاتِ النَّقصِ؛ لكونه أعلمَ الخلقِ بذلك، بدأتْ سورة الكهف بالإخبارِ باستحقاقِهِ سُبحانه الحمد على صفاتِ الكمال التي منها البَراءةُ عن كلِّ نقصٍ، منبّهًا بذلك على وجوبِ حمده بما

(1) صحيح البخاري، كتاب: الدَّعوات، باب: فضل التَّسبيح، الحديث رقم: (6406).
(2) السُّيوطي، تناسق الدُّرر في تناسب السّور، ص: 99 - 100.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4484.

شرعَ من الدّين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيِّم، فقال مُلقّنًا لعباده حمده، مُعلِّمًا لهم كيف يثنون عليه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَبۡدِهِ﴾: أصلُ (عبد) يَدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ[2]، ومنه قولهم: طريقٌ مُعبَّدٌ، أي: سَهْلٌ مُذلَّلٌ؛ لكثرة وطء الأقدام له[3]، والعَبْدُ: الإنسانُ، يُقالُ: فُلانٌ عَبْدٌ للّه أَيْ مَملوكٌ لَهُ، ويُجْمَعُ عَلَى عَبيدٍ وعِبادٍ وغَلَبَ الجَمعُ الأَوَّلُ عَلَى عَبْدٍ بِمَعْنَى مَملوكٍ، وهو ضِدُّ الحُرِّ، وجَمعُهُ: عَبيدٌ، والجَمعُ الثّاني على عَبْدٍ بِمَعْنَى آدَميٍّ، وهو تَخْصيصٌ حَسَنٌ مِنَ الاِسْتِعْمالِ العَرَبيِّ[4]، والاِسْتِعْبادُ والإِعْبادُ: اِتِّخاذُ الشَّخْصِ عَبْدًا ورَقيقًا[5]، والعُبوديَّةُ: إظهار التَّذلُّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقّها إلّا من له غاية الإفضال، وهو اللّه تعالى[6]، والمقصودُ بالعَبْدِ في الآية: من خضع خضوعًا مُطلقًا للّه ﷻ والمُراد به: سيِّد الخَلْقِ محمَّد صلَّى عليه وسلَّم.

2) ﴿عِوَجَاۜ﴾: أَصْلُ العَوجِ: المَيْلُ في الشَّيْءِ سَواءً كانَ حِسًّا أَوْ مَعْنًى، يُقالُ: عَوِجَ الشَّيْءُ يَعْوَجُّ عِوجًا أَيْ مالَ، وقيلَ: العَوجُ يُسْتَعْمَلُ في كُلِّ ما كانَ مُنْتَصِبًا كالحائِطِ والعودِ، والعِوجُ في ما كانَ في بِساطٍ أَوْ مَعْنًى نَحْو دينٍ ومَعاشٍ[7]، والاعوجاجُ: الانْحِناءُ والانْعِطافُ، يُقالُ: اعْوَجَّ العودُ يَعْوَجُّ اعْوِجاجًا إذا انحنى، وكُلُّ شَيْءٍ تَعْطِفُهُ تَقولُ: عُجْتُهُ فانْعاجَ، وضِدُّ الاعْوِجاجِ الاسْتِواءُ والاسْتِقامَةُ[8]، ويُطْلَقُ الاعْوِجاجُ أَيْضًا بِمَعْنَى: الانْحِرافِ، تَقولُ: في رَأْيِ فُلانٍ اعْوِجاجٌ أَيْ: مَيَلانٌ وانْحِرافٌ عَنِ الصَّوابِ، ومِنْ مَعانيه: أَيْضًا: الزَّيْغُ والاخْتِلافُ[9]، والمُرادُ بالعِوجِ في الآية: عِوجُ مَدْلولاتِ كَلامِهِ بِمُخالَفَتِها لِلصَّوابِ وتَناقُضِها وبُعْدِها عَنِ الحِكْمَةِ وإِصابَةِ المُرادِ[10].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 2.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عبد).
(3) الجوهري، الصِّحاح، وابن سيده، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 7.
(5) الخليل، العين، والجوهري، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(6) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (عبد).
(7) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عوج).
(8) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (عوج).
(9) الجوهري، الصِّحاح، وابن سيده، المُحكم، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عوج).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 247.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أعـظـمُ نعمة من الله تعالى على عباده إنزال القُرآن الكريم

يقولُ الحقُّ تعالى مُفتتحًا سورةَ الكهف بالثَّناءِ على نفسِه: الحَمدُ للّه الَّذي أنزَلَ على عَبدِه مُحَمَّدٍ القُرآنَ، أنزَلَه والحالُ أنَّه لم يَجعَلْ فيه أيَّ نَوعٍ مِن المَيلِ والزَّيغِ عن الحَقِّ، والتَّناقُضِ والاختِلافِ، والخَلَلِ في ألفاظِه ومَعانيه؛ فأخبارُه صادِقةٌ، وأحكامُه عادِلةٌ.

فالآية الكريمة خبرٌ مِن اللّه تعالى أنَّه حمِد نفسَه، وفي ضمنِه إرشادُ العبادِ ليحمَدوه على إرسالِ الرَّسولِ إليهم، وإنزالِ الكتابِ عليهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الجملة الخبريَّة ودلالتها في قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾:

إنـزالُ الكِتابِ أعـظـمُ نعـمةٍ تـسـتـوجـبُ اسـتـحـقـاقَـه سبحانه للحمدِ المطلقِ والثناءِ التامّ

موقعُ الافتتاحِ بهذا التَّحميدِ على إنزالِ الكتابِ في جُملة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ كموقعِ الخُطبةِ؛ يُفتتَحُ بها الكلامُ في الغرَضِ المُهمِّ، وغرضُه هنا التَّنويهِ بالقُرآن؛ بأنّه لَمّا كانَ إنزالُ القُرآنِ على النَّبيِّ ﷺ أجزَلَ نعماءِ اللّه تعالى على عِبادِه المُؤمنينَ؛ لأنَّهُ لم يتركهم هَمَلًا، بل أنزلَ عليهم المنهجَ الذي به تستقيمُ حياتهم، وبه تصلحُ أمورهم، فهو سَبَبُ نَجاتِهم في حَياتِهمُ الأبديَّةِ، وسَبَبُ فَوْزِهم في الحَياةِ العاجِلَةِ بطيبِ الحياةِ وانتظامِ الأحوالِ والسّيادةِ على النّاسِ، وأجزلَ نعماءِ اللّه على النَّبيِّ ﷺ بِأَنْ جَعَلَهُ واسِطَةَ ذلك ومُبَلِّغَهُ ومُبَيِّنَهُ؛ لأجلِ ذلك استحَقَّ اللّه تعالى أكملَ الحمدِ إخبارًا وإنشاءً[2]، أي فأخبَرَ أنَّ مُستحِقَّ الحمدِ هو اللّهُ تعالى لا غيرُه، وفي ضِمنِه إرشادُ العبادِ ليحمَدوه على إرسالِ الرَّسولِ إليهم، وإنزالِ الكتابِ عليه[3]، يقول

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 141، 142، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 135، وابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة الكهف، ص: 8.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 246.
(3) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 469.

التَّفتازانيُّ: "كلُّ سورةٍ افتُتحتْ بالحمدِ فللإشارةِ إلى نعمةٍ من أُمَّهاتِ النِّعَم"[1].

وكذلك فإنّ جُملة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جُملةٌ اسميّةٌ تدلُّ على ثبوتِ الحمد للّه واستقراره أزلًا وأبدًا، فهي ليستْ محدودةً بزمنٍ، بل مُطلقة من الزَّمان، بخلافِ الجُملةِ الفعليَّة التي تُحدَّد بزمن، كما لو قال: (أحمد اللّه حمدًا)، والمعنى: الحمدُ للّه ثابتٌ في كلِّ حينٍ وعلى كلِّ حالٍ، أضفْ إلى ذلك أنَّ العدول عن الجملة الفعليَّة إلى الاسميَّة لتتأتَّى كذلك الدَّلالة على العموم المُستفاد في المقام من أل الجنسيَّة، والدَّلالة على الاهتمام المُستفاد من التَّقديم، وليس واحد من هذه الثَّلاثة بممكنِ الاستفادة لو بقيَ المصدرُ منصوبًا[2].

وبالتّالي فيجبُ على المسلم ألّا ينقطعَ عن الحمدِ، ولذا جعلَ اللّهُ لها عظيمَ الأجر وجزيلَ الثَّواب، فقال النَّبي ﷺ: "والحمدُ للّهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللّهِ والحمدُ للّهِ تَملآنِ أو تملأ ما بين السَّماواتِ والأرضِ"[3].

بلاغة تقديم لفظ الحمد على الاسم الجليل:

في التَّقديمِ تذكيرٌ بعِظَمِ نِعمَةِ تنزيلِ القرآن وبوجوبِ المُسارعةِ بالحمدِ عليها

قدَّم البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ رغم أنَّ ذِكْرَ اسم اللّه تعالى أهمُّ؛ لأنَّ المقامَ هُنا مقامُ الحمد؛ إذ هو ابتداءُ أوْلَى النِّعم بالحمدِ، وهي نِعمَةُ تنزيلِ القرآنِ الذي فيه نجاحُ الدّارين، فتلك المِنَّةُ من أكبرِ ما يُحمَدُ اللّه عليه من جلائلِ صفات الكمال لا سيما وقد اشتملَ القرآنُ على كمالِ المعنى واللَّفظ والغاية، فكان خُطورُهُ عند ابتداءِ سماعِ إنزاله وابتداءِ تلاوته، مُذَكِّرًا بما لِمُنْزِلِه تعالى من الصِّفاتِ الجميلة، وذلك يُذَكِّرُ بوجوبِ حَمدِهِ، وأَنْ لا يُغْفَلَ عَنْهُ، فكان المقامُ مقامَ الحمدِ لا محالة، فلذلك قُدِّم[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 4.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 157.
(3) صحيح مسلم، كتاب: الطَّهارة، باب: فضل الوضوء، الحديث رقم: (223).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 158.

دلالة (ال) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾:

هو المحمودُ سُبحانه ولا محمودَ بحقٍّ سواه وكلُّ آحادِ الحمدِ تعودُ إليه

أل التَّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق، أي استغراق كُلِّ الحمد وأعلاه، فالحمدُ المُطلقُ الكاملُ بكلِّ أفراده هو مُختصٌّ بالله سُبحانه، فهو المحمودُ ولا محمودَ بحقٍّ سواه، وكلُّ آحادِ الحمدِ تعودُ إليه بإطلاق، وليسَ لغيره حمدٌ إلَّا نسبيٌّ، وفي دائرةٍ محدودةٍ، هي دائرةُ المخلوق الذي لا يملكُ شيئًا إلّا من الله تعالى[1]، فهو صاحبُ النِّعم كلِّها، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النَّحل: 53]، وإذا كانتْ النِّعم كلُّها مِن الله فالحمدُ سيكون لله سُبحانه.

سِرُّ اختصاص الحمد باسم الجلالة دون غيره من الأسماء:

اختصاصُ الحمدِ باسمِ الجلالةِ الذاتيةِ الشَّريفةِ بصفاتِ الكمال

اختصَّ البيانُ القرآني الحمدَ باسم الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾ دون غيره من الأسماء الحُسنى في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ للإحاطةِ بصفاتِ الكمالِ والجلالِ التي يدلُّ عليها اسم الله الجليل، أي المُستحِقُّ لذلك لذاته[2]، ولأنَّه الأنسبُ للسّياق؛ الذي هو سياقُ علوٍّ ورفعةٍ وعظمةٍ ومَهابةٍ للمُنزِل (الله) المتفضِّل بعظيم العطاء، وللمنزَل ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الذي هو أعظمُ النَّعماء، وللمنزَلِ عليه ﴿عَبۡدِهِ﴾ الذي هو خاتمُ الأنبياء، ولتربيةِ مهابةِ الله في النُّفوس، بذِكر الاسم الأعظمِ الجامع لكلِّ صفاتِ الجلال والجمال والكمال.

نكتة استعمال اسم الموصول في قوله ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ﴾:

ترتيبُ استِحقاقِ الحَمدِ على نعمةِ إنزالِ القرآن إيذانٌ بكونها أعظمَ نعمائه

وصفَ البيانُ القرآنيُّ اسم الجلالة بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِيٓ﴾ في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أي رَتَّبَ استِحقاقَ الحَمدِ على إنزاله؛ لأمور:

الأوَّل: تنويهًا بمضمونِ الصِّلةِ، أي إيذانًا بعِظم شأنِ التَّنزيلِ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4484.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 2.

الجليلِ، كيف لا وعليه يدورُ فَلكُ سعادةِ الدّارين[1]، وهو أعظَمُ نَعَمائِه سُبحانه؛ وذلك لأنَّه الهادي إلى ما فيه كَمالُ العِبادِ، والدّاعي إلى ما به يَنتَظِمُ صَلاحُ المَعاشِ والمَعادِ[2]، والحاصلُ أنَّ إنزالَ الكتابِ نعمةٌ فيها كلُّ النِّعمِ المُستوجبةِ للحمد[3].

الثّاني: إشعارًا بِعِلّيَّة ما في حَيِّزِ الصِّلَةِ لاستحقاق الحمدِ[4]؛ لأنَّ ترتُّبَ الحُكْمِ عَلى الوصف المُناسبِ يُشعرُ بالعلّيّة[5]، أي إنَّ صلةَ الموصول تُشيرُ إلى سببِ الحمدِ، أو بعض أسبابه، فإنَّ الحمدَ لا يكونُ إلّا بنعمةٍ، وهذه النِّعمةُ أجَّل النِّعمِ وأعظمها في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّها نعمةُ إنزالِ الكتابِ على عبده[6]، الذي منافعُ إنزاله متعديَّةٌ غير قاصرة، ألّا ترى أنَّه قال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وإنزالهُ نعمةٌ عليه ﷺ بأنْ أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرارِ علوم التَّوحيد والتَّنزيه، وصفاتِ الجلال والإكرام، وأسرارِ أحوالِ الملائكة والأنبياء وأحوالِ القضاءِ والقدر وغير ذلك، ونعمةٌ علينا؛ لأنَّه مشتملٌ على التَّكاليفِ والأحكامِ والوعد والوعيد والثَّواب والعقاب[7].

الثّالث: تنويهًا بشأنِ النَّبيِّ ﷺ، بأنَّ إنزالَ الكتابِ عليه يقتضي كونَه مُكَمِّلًا للأرواحِ البشريَّةِ، وناقلًا لها مِن حضيضِ البهيميَّةِ إلى أعلى درجاتِ المَلكيَّةِ، وهذا تنبيهٌ على أنَّ أعلى مقاماتِ العباد مقامًا أنْ يصيرَ العبدُ عالمًا في ذاتِه مُعلِّمًا لغيره[8].

إيثار استخدام الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ وصيغته:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالفعل ﴿أَنزَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ الذي يدلُّ على الإنزالِ جُملة، دون الفعل (نَزَّل) الذي يَدُلُّ على النُّزول المفرَّق، أي عَبَّرَ بالإنزالِ دونَ التَّنزيلِ؛ مُراعاةً للمعنى المقصود، وهو وصفُ جُملةِ الكتابِ بالإعجازِ بأنَّه لا عِوج فيه، وأنَّه قيِّمٌ مِن غَيرِ نَظَرٍ إلى التَّفريقِ والتَّدريجِ[9]، بخلاف قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 246.
(2) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 3/ 272.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 4.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 246.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 3.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4484.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 422.
(8) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 421.
(9) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.

التَّعبيرُ بالإنزالِ مُراعاةً للمعنى المقصود وهو وصفُ جُملةِ الكتابِ بالإعجازِ

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1] فإنَّه جاء بالفعل الذي يُفيدُ التَّفريقَ والتَّدريج ﴿نَزَّلَ﴾ [الفرقان: 1]؛ لأنَّ المعنى المقصود في سورة الفرقان تكرارُ الإنذار؛ لكونه أوقعَ في القلوب وأعظمَ في التَّأثير، وأصدعَ وأردعَ، والنّاسُ بحاجةٍ إلى إنذارٍ بشكل مُستمرٍّ، كما أنَّ كلمةَ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: 1] فيها معنى التَّفريق، فهي فارقٌ بين كلِّ ملتبسٍ، وفارقٌ بَيْنَ الحَقِّ والباطل.

وأمّا التَّعبير بصيغة الماضي ﴿أَنزَلَ﴾ مع أنَّ الكتاب ما زال ينزل؛ فإنَّه إمّا للإشارةِ إلى النُّزولِ الأوَّل جُملةً إلى بيتِ العِزَّة في السَّماءِ الدُّنيا ليلة القدر، أو للإشارةِ إلى اليقينِ بتحقُّقِ اكتمالِ نزوله، أي كأنَّه وقعَ حتَّى صحَّ أن يُخبر عنه أنَّه قد حصل.

فائدة الجارّ والمجرور ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾:

قرآنٌ عظيمٌ نزلَ من اللهِ العظيمِ على عبده النَّبيِّ العظيمِ

عبّرَ البيان القرآنيُّ بحرف الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ تنويهًا بمقامِ المُنْزِلِ ﷻ، والمُنزَلِ وهو القرآن الكريم، والمنزَلِ عليه وهو النَّبي ﷺ، ومقامهم مقامُ علوٍّ ورفعةٍ، وذلك لكون ﴿عَلَىٰ﴾ يُفيدُ الاستعلاء، والتَّنزُّل لا يكون إلّا من علوٍّ، قال الرّازي: "وإنزالُ الكتابِ عليه عبارة عن إنزالِ نور الوحي عليه من فوق إلى تحت"[1]، وهذا فيه من الكمالِ والرِّفعةِ ما فيه، ومُناسبةً للسّياق الذي هو سياقُ علوٍّ ورِفعةٍ وعظمة لمنزِل القرآن سُبحانه باستعمالِ الاسم الجليل (الله)، وللقرآنِ باستعمالِ الاسم الجامعِ لكلِّ الكمالات ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وللنَّبيِّ ﷺ باستعمالِ لفظ ﴿عَبْدِهِ﴾ وتقديمه على لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، كما أنَّ مجيءَ الجارِّ والمجرور أفادَ تقييدَ نزول القرآن بأنَّه على عبده (محمَّد ﷺ) لا على أحدٍ غيره، وهذا فيه من التَّكريمِ والتَّشريف والتَّعظيم لمقامِ النَّبيِّ ﷺ ما فيه.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 422.

فائدة ذكر النَّبيِّ ﷺ في قوله ﴿عَبْدِهِ﴾:

اختصاصُ النَّبيِّ بإنزالِ القُرآن عليه بيانٌ لغايةِ كمال درجاته ورفعة قدره

خَصَّ اللهُ سُبحانه رَسولَه ﷺ بالذِّكرِ بعد أنْ أَثْنَى اللهُ عَلَى نَفْسِهِ بإنْعامِهِ على خلقه في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولم يقل: (الذي أنزل الكتاب)؛ لأنَّ إنزالَ القُرآنِ عليه كان نِعمةً على الخُصوصِ، وعلى سائِرِ النّاسِ على العُمومِ[1].

إيثار لفظ العُبوديَّة في قوله ﴿عَبْدِهِ﴾:

عبوديَّتُه ﷺ صفةُ تشريفٍ وتفخيمٍ ورفعٍ للمقام

عدلَ البيانُ القرآنيُّ عن الخطابِ بأن يقول: أنزل الكتاب عليك، كقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: 6] إلى ذكرِ النَّبيِّ ﷺ بوصفِ العبوديَّة للّه؛ تقريبًا لمنزلتهِ وتنويهًا بما في إنزالِ الكتابِ عليه من رفعةِ قدرهِ وتفخيمِ شأنهِ وتكريمه كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1][2]، وتنبيهًا على علّة تخصيصه بالإنزالِ عليه[3]، وهي عبوديَّته للّه تعالى، لإمعانهِ في الخُضوعِ والتَّواضعِ للّه تعالى، وهي حيثيَّة الرَّفعِ ذاتها في الإسراءِ والمعراج إذ قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]، وهي الصِّفةُ التي ذكرها اللّه لخيارِ خَلْقِهِ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصّافات: 171].

لطيفةُ الإضافة وشرفُها في قوله ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾:

في الإضافةِ إلى اللهِ إعلامٌ بتشريفه النَّبيَّ ﷺ وتنبيهٌ على بلوغهِ أعلى معارجِ العبادة

أضافَ البيانُ القرآنيّ لفظ (عبد) إلى اللّه سُبحانه في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ إعلامًا بتشريفهِ ﷺ[4]، وتنبيهًا على بُلوغهِ ﷺ أعلى معارجِ العبادةِ، وإشعارًا بأنَّ شأنَ الرَّسولِ أنْ يكونَ عبدًا للمُرسِل لا كما زعمتْ النَّصارى في حقِّ عيسى عليه السلام[5]،

(1) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 3/ 172.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 247.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202.

وإشعارًا بأنّه مَهما سَمَتْ منزلته ﷺ، وعَلَتْ مكانته فهو عبدُ الله تعالى، وأنَّ الذين عبدوا مع الله تعالى بعض مخلوقاته، قد ضَلّوا ضلالًا بعيدًا[1].

سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور على معمول ﴿أَنزَلَ﴾:

تأخيرُ المفعول الصَّريح ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ عن الجارِّ والمجرور ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مع أنَّ حقَّه التَّقديمُ عليه، للدَّلالة على صِحَّة رسالته بما لا تحتاجُ فيه قريش إلى سؤالِ اليهود ولا غيرهم من تخصيصه بما لا يقدرُ عليه غيره من إنزالِ القرآن عليه[2].

في التَّقديمِ دلالةٌ على صحَّةِ رسالتِه بتخصيصِه بما لا يقدرُ عليه غيرُه

وكذلك لمزيدِ الاهتمامِ بكونِ النَّبيِّ ﷺ عبدَه، فإنَّه عبدُ الله ومبلّغُ رسالته، ومن اختصّه لنبوَّته، وهو أعلمُ حيث يجعلُ رسالته[3]، وأنَّه الذي أسرى به إلى حضراتِ مجدِه ليُريَهُ من آياته[4].

وأيضًا ليتَّصل بلفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾[5]، أي الكتاب الذي ليس فيه شيءٌ من العِوج.

إيثار لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على لفظ (القرآن):

آثر البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ للإشارة إلى كمالِ الكتابِ في ذاته وشُهرته؛ فهو الجديرُ بأنْ يُسمَّى كتابًا، وليس غيره جديرًا بهذه التَّسمية، وله ذلك الشَّرف الدّاني؛ لأنَّه يشتملُ على كلِّ ما يُصلِحُ البشرَ في معاشهم ومعادهم، وله شرفٌ آخرُ إضافيٌّ؛ وهو أنَّه مُنزَّلٌ من الله سُبحانه[6]،

القرآنُ هو الكتابُ الكاملُ الغنيُّ عن التَّعريفِ الحقيقُ باختصاصِ هذا الاسم

(1) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 466.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4485.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4485.

أي: أنزلَ سُبحانه على عبده محمَّدٍ ﷺ الكتابَ الكاملَ في بابه، الغنيَّ عن التَّعريف، الحقيقَ باختصاصِ هذا الاسم به، المعروفَ بهذا الاسم من بينِ سائرِ الكتب[1]، الجامعَ لمعاني الكُتُبِ السّابقة[2].

وتوجيه آخر، وهو الدّلالة على أنَّ هذا الوحي سيُحفظ كتابةً في السُّطور، وهو دليلٌ على أنَّ اللّهَ جعل هَدْيَهُ موثَّقًا مكتوبًا، ولم يجعله هديًا شفويًّا فقط، وإذا كان كتابًا، وتكفَّل اللّهُ بحفظهِ فلا يُمكن أنْ يُغيَّر ولا أنْ يُبدَّل.

معنى أل التَّعريف في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

الـلّامُ العهديّةُ بيانٌ لعظمةِ الكتابِ الجامعِ لمعاني الكمالِ في ذاته

أل التَّعريف في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ عهديَّةٌ؛ ومعهودها ذهنيٌّ، وكأنَّه لا يوجد كتابٌ غيره باعتبارهِ أكملَ الكتب على الإطلاق، ولأنَّ الذي أُنزلَ على رسول الله ﷺ كتابٌ واحدٌ هو القُرآن الكريم، ولأنَّ اسم ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من أسماء القرآن الكريم، أي المُراد بالكتاب هو جميعُ القرآن الكريم، أو جميع المُنْزَل حينئذ، أي ما وقعَ إنزاله من يوم البعثة في غار حراء إلى يوم نزول هذه السّورة[3]، فيكون من بابِ التَّعبير عن البعضِ بالكُلِّ تحقيقًا للنُّزولِ للجميع[4]، والكتاب حيثما ذُكر في القُرْآن يُراد به القُرْآن ما لم يُصرف عنه بقرينة، وهُنا كَذَلكَ[5].

دلالة الواو في قوله ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل﴾:

الـواو بَيْنَ العاطفةِ والاعتراضيَّةِ والحاليَّةِ إبطالٌ ما يَرمي به المشركون الكتابَ من العوج

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ تحتمل أن تكون عاطفة، والمعطوفُ عليه الصِّلة قبلَها: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾[6]، فتكون

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 247.
(4) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 466.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 3.
(6) السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 7/ 433.

جُملة ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ من جملة المحمودِ عليه[1]، والمعنى: الحمدُ للّٰه على نعمةِ إنزال الكتاب، ونعمةِ سلامته من العِوج.

وتحتمل أن تكون اعتراضيَّةً، والجُملةُ بعدها مُعترِضةٌ بَيْنَ الكتاب وبَيْنَ الحال منه؛ وهو ﴿قَيِّمًا﴾، والتَّقدير: (أنزل الكتاب على عبده قَيِّمًا، ولم يجعلْ له عِوجًا).

وتحتمل أن تكون حاليَّةً من الكتاب، والجُملة بعدها حاليَّةٌ، و﴿قَيِّمًا﴾ حالٌ أخرى للكتاب؛ تصريحًا بما يلزم عن كونه لا عِوجَ فيه تأكيدًا له، والمعنى: أنزلَ على عبد الكتاب، والحالُ أنَّه لم يجعلْ له شيئًا من عِوج في مدلولاتِ كلامه بمُخالفتها للصَّوابِ وتناقضها وبعدها عن الحِكمة وإصابةِ المُراد، بل هو مستقيمٌ في جميعِ معانيه من غيرِ اختلاف أصلًا، هادٍ إلى كُلِّ صواب[2].

والمقصود من هذه الجملة المُعترضة أو الحاليَّة أو العاطفة إبطالُ ما يرميه به المشركون من قولهم: (افتراه، وأساطير الأوَّلين، وقول كاهن)؛ لأنَّ تلك الأمور لا تخلو من عِوجٍ، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82][3].

نُكتة استعمال المُضارع المنفيّ ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ دون الماضي (ما جعل):

أفادَ صوغ ﴿يَجْعَل﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ بصيغة المُضارع المنفي الذي يدلُّ على تجدُّد واستمرارِ هذا النَّفي، أي إنَّ انتفاءَ الخَلل والعَيْب في لفظِ القرآن وفي معناه أمرٌ مُتجدِّدٌ مُستمِرٌّ مهما امتدَّ الزَّمانُ وتطوَّرتْ العلوم، وهذه المعاني لا يدلُّ عليها التَّعبير بالفعل الماضي فيما لو قال: (ما جعل).

إعجازُ القُرآنِ بانتفاءِ العِوج عنه مُستمِرٌّ مُتجدِّدٌ مهما امتدَّ الزَّمان

(1) الصَّاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1088.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/ 247.

سِرُّ تعدية الجَعْلِ بـ(اللّام) دون (في):

في التَّعدية باللّام نفيُ قابليَّةِ الكتابِ للعِوج وإمكان ذلك فيه

عدَّى البيانُ القُرآنيُّ الجعْل باللّام دون (في) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ لأنَّ العِوجَ المعنويَّ[1] يُناسِبُهُ حرفُ الاختصاصِ دونَ حرْفِ الظَّرفيَّة؛ لأنَّ الظَّرفيَّةَ من علائقِ الأجسام، وأمّا معنى الاختصاص فهو أعمُّ، فالمعنى: أنَّه مُتَّصِفٌ بكمالِ أوصافِ الكُتُبِ مِن صِحَّةِ المعاني والسَّلامةِ من الخطأ والاختلافِ، وهذا وصْفُ كمالٍ للكتابِ في ذاته، وهو مُقْتَضٍ أنَّه أَهلٌ للانتفاعِ به[2]، أي أنَّه مُستقيمٌ لا عِوجَ فيه مُنذُ البداية، فهذا من خصائصه، ولو قال: (ولم يجعل فيه عوجًا) لكان من المُحتمل أنَّ هذا العِوجَ حدثَ للقُرآن في زمان ما ثُمَّ زالَ عنه، يقول البِقاعي: "لَمّا كان الجامعُ لا يخلو من عِوجٍ أو قابليَّةٍ له إلّا إنْ كان من علّام الغيوب نفى القابليَّةَ والإمكانَ دلالةً على أنَّه من عنده"[3].

سِرُّ تقديم ﴿لَّهُۥ﴾ على ﴿عِوَجَاۜ﴾:

في التَّقديمِ بيانٌ لأهميَّة الكتابِ الكاملِ وإعجازه وحِفْظِهِ وضرورةِ الاعتناءِ به

قدَّم القرآنُ الجارَّ والمجرور ﴿لَّهُۥ﴾ على ﴿عِوَجَاۜ﴾ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ للفتِ الانتباهِ إلى شِدَّةِ عنايةِ اللّهِ بهذا الكتاب الخاتم، وإلى إعجازه وخلوِّه من أيِّ نقصٍ أو خلل؛ إذ (الهاء) ضَمير عائدٌ إلى الكتاب.

وللتّنبيه بضرورةِ الاهتمامِ والعنايةِ بالكتاب الجامعِ للكمالات.

ولإفادةِ اختصاصِ الكِتابِ الخاتمِ بحفظه من التَّحريف دون غَيْرِه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

---

(1) العِوَج بكسر العين أكثر ما يكون استعمالًا في المعاني، تقول: هذا كلام لا عوجَ فيه، أي: لا ميلَ فيه، وأمَّا العَوَجُ - بفتح العين - فأكثر ما يكون استعمالًا في الأعيان تقول: هذا حائطٌ فيه عَوَجٌ، الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 465.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 3.

توجيه الوقف على قوله ﴿عِوَجَاۜ﴾:

في الوقف على (عِوجًا) ضَرْبٌ من البيان

قَرَأَ حَفْص ﴿عِوَجَاۜ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ بسكتةٍ لَطيفَةٍ من غيرِ قطع، ولا تَنْوين على الألف[1]، وهذا الوقفُ غيرُ تامٍّ؛ لأنَّ المعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ولم يجعل له عوجًا[2]، ولكنْ يُحَسّنُ هذا الوقفَ أنّه يُبَيِّنُ أنَّ ﴿قَيِّمًا﴾ مُنفصلٌ عن ﴿عِوَجَاۜ﴾، وأنَّه حالٌ في نيَّةِ التَّقديم[3]، أو أنْ يكون ﴿قَيِّمًا﴾ منصوبًا بفعل مضمرٍ تقديره (أنزله قَيِّمًا)[4]، وأنَّ جُملةَ ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ مُعترضةٌ؛ ولأنَّ في السّكت مباعدةً بين وصفين متباعدين في المعنى، متقاربين في البناء[5].

إيثارُ لفظ ﴿عِوَجَاۜ﴾ دون غيرها:

نَفيُ العِوجِ هو نفيٌ عن أيِّ ميلٍ أو انحرافٍ أو انحناءٍ أو فسادٍ وهو عَيْنُ الاستقامة

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ ﴿عِوَجَاۜ﴾ دون غيره من المُرادفات، مثل: (الزَّيغ، الضَّلال، المَيْل) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ لأمرين:

الأوَّل: لاتِّساع دلالة لفظ ﴿عِوَجَاۜ﴾؛ إذ يشتملُ على معانٍ أكثر من غيرها، فمن معاني العِوج (الميل، والانحناء، والانحراف، والالتواء، والفساد) كما أنَّه يُستعمل في المعاني الماديَّة واللُّغويَّة.

الثّاني: لمُناسبته السّياق؛ الذي يشتملُ على لفظ ﴿قَيِّمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ إذ إنَّ العِوجَ في اللُّغة ضِدُّ الاستقامة، من قولهم: "وعَوَّجْت الشَّيءَ ضِدُّ قَوَّمته"[6]، ولفظ ﴿قَيِّمًا﴾ يعني في اللُّغة الاستقامةَ والاعتدالَ مع حُسن، من قولهم:

(1) الدَّاني، التَّيسير في القراءات السَّبع، ص: 142.
(2) الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء: 2/ 756.
(3) السُّيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 295.
(4) ابن الجزري، النَّشر في القراءات العشر: 1/ 426.
(5) محمَّد الأسلمي، التَّفسير والمُفسِّرون في غرب أفريقيا: 2/ 598.
(6) الزَّبيدي، تاج العروس، والمعجم الوسيط: (عوج).

وخُلُقٌ قَيِّم أَيْ مُسْتَقيم حسَن[1]، فالبيانُ القرآنيُّ بعد نفي العِوجِ عن القرآن أوَّلًا أثبتَ استقامته ثانيًا، أي ليس فيه خَلَلٌ ولا نقصٌ بوجهٍ من الوجوهِ، لا في ألفاظه، ولا في مَعانيهِ، وهذا يستلزمُ كمالَ اعتدالِه واستقامتِه بأنْ يكون قيّمًا مُعتدلًا لا إفراطَ فيه ولا تفريط، وقيِّمًا على غيره من الكتب، فهو مكمِّلٌ لغيره، وقائمٌ على مصالحِ العباد.

كما أنَّ معنى العوج الذي يُستعمل في المعاني المادّيَّة واللُّغويَّة يتناسبُ مع حالِ القرآن الذي هو ألفاظٌ مقروءةٌ ومكتوبةٌ.

دلالة تنكير لفظ ﴿عِوَجَاۜ﴾:

نَكَّر البيانُ القرآني لفظ ﴿عِوَجَاۜ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾؛ لإفادة العُموم؛ إذ النَّكرة في سياق النَّفي تفيد تعمُّ[2]، أي تشملُ نفيَ كُلِّ أنواع العِوج؛ أي: خالٍ من أيِّ عِوجٍ مهما كان ضئيلًا، لا من خارجه ولا من أصلِ تكوينه، والمعنى: لم يجعلْ له سُبحانه أيَّ شيءٍ من العِوج بنوعِ اختلالٍ في النَّظم وتَنافٍ في المعنى، أو انحرف عن الدَّعوة إلى الحَقِّ[3]، فهو في غايَةِ الاسْتِقامَةِ لا تَناقُضَ ولا اخْتِلافَ في مَعانيهِ، ولا حَشو ولا ركاكة في تراكيبه ومبانيه[4].

كتابُ اللهِ منزّهٌ عن أي عِوج بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العِوج والزيغ والميل والضَّلال:

تشتركُ جميع هذه الألفاظ (العوج، الزَّيغ، الضَّلال، الميل) في معنى الانحراف عن الاتجاه المُستقيم، إلّا أنَّ لِكُلٍّ من هذه الألفاظ ما يُميِّزه، ويتَّضح ذلك من خلال إمعان النَّظر في أصلها ومعناها اللُّغويِّ:

أوَّلًا: العوجُ: أصلُ (عَوجَ) يَدُلُّ عَلَى مَيَلٍ في الشَّيْءِ أَوْ مَيْلٍ[5]،

العِوجُ ضدُّ الاستقامة مُطلقًا، والزَّيغُ انحرافٌ شديدٌ عن الاتجاهِ المُستقيمِ، والميلُ انحرافٌ إلى أحدِ الجانبين، والضَّلالُ ضدُّ الهدى والرَّشاد

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (قوم).
(2) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 466.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 202.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 135.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عوج).

وعَوِجَ الغُصنُ: مال، انحنى، التوى، ضِدُّ استقام، وعَوِجَ المَرءُ: ساءَ خُلُقه، وانحرفَ دينُه، وعِوجُ الدّينِ والخُلُقِ: فَسادُه ومَيْلُه، وعَوَّجْتُ الشَّيءَ ضِدُّ قَوَّمته[1].

ثانيًا: الزَّيغ: أَصْل (زَيَغ) يَدُلُّ عَلَى مَيْلِ الشَّيْءِ، وزاغَتِ الشَّمسُ: مالَتْ وفاءَ الفَيْءُ[2]، وزاغ: مالَ عنِ القَصْدِ، وزاغَ عنِ الطَّريقِ: عَدَلَ[3]، والزَّيغ: الميلُ عن الاستقامة، والزّائغ: المائل[4].

ثالثًا: الميلُ: أصلُ (مَيَلَ) يَدُلُّ عَلَى انْحِرافٍ في الشَّيْءِ إِلَى جانِبٍ مِنْهُ[5]، فالميلُ: العدولُ من جهةِ الوسط إلى أحدِ الجانبين، ويُستعمَلُ في الجَوْر[6]، ومالَ عَنْ الطَّريقِ: تَرَكَهُ وحادَ عَنْهُ، ومالَ الحائِطُ: زالَ عن استوائه، وانحرفَ، وانعطفَ، وعدلَ عمّا كان عليه[7].

رابعًا: الضَّلال: أصلُ (ضَلَّ) يدلُّ على ضياعِ الشَّيءِ وذهابِهِ في غيرِ حقِّه[8]، وهو ضِدُّ الهُدى والرَّشاد، والضَّلالُ يُقال لِكُلِّ عُدُولٍ عَن الحَقِّ، عَمدًا كانَ أَو سَهوًا، يَسيرًا كانَ أَو كثيرًا[9].

إذن: يتميَّز لفظ (العوج) بأنَّه ضِدُّ الاستقامة، ويُستعمل في المعاني الماديَّة واللُّغويَّة.

ويتميَّز لفظ (الزَّيغ) بمعنى الانحراف بشِدَّة عن الاتجاهِ المُستقيم إلى جهة أُخرى.

ويتميَّزُ لفظ (الميل) بمعنى الانحراف إلى أحدِ الجانبين، ويُستعمل كثيرًا في الجور.

ويتميَّز لفظ (الضَّلال) بمعنى الضَّياع، وبأنَّه ضِدُّ الهُدى والرَّشاد.

وقد ذكر العسكري الفرق بَيْنَ الزَّيغ والميل: وهو أنَّ الزَّيغَ مُطلَقًا لا يكون إلّا الميل عن الحقِّ، يُقال: فلانٌ من أهلِ الزَّيغ، ويُقال أيضًا: زاغَ عن الحقِّ، ولا أعرف زاغ عن الباطل؛ لأنَّ الزَّيغ اسمٌ لميلٍ مكروه، ولهذا قال أهل اللُّغة: الفرغُ زيغٌ في الرُّسغ، والميلُ عامٌّ في المحبوبِ والمكروه[10].

---

(1) الزَّبيدي، تاج العروس، والمعجم الوسيط: (عوج).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زيغ).
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (زوغ).
(4) السَّمين الحلبي، عُمدة الحُفَّاظ: 2/ 157، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 3/ 154.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ميل).
(6) الرَّاغب، المُفردات، ص: 784، والسَّمين الحلبي، عُمدة الحُفَّاظ: 4/ 133.
(7) الفيومي، المصباح المنير، ومعجم اللُّغة العربيَّة المُعاصرة: (ميل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ضل).
(9) الزَّبيدي، تاج العروس: (ضلل).
(10) العسكري، الفروق اللُّغويَّة بترتيب وزيادة، ص: 269.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»